

## الدكتور أحمد الشريف سعدان ونضاله الوطني (1927.1948)

د/ خميسي فريج



جامعة محمد خيضر بسكرة

## الملخص:

تتناول الدراسة أحد أبرز شخصيات التيار الإدماجي وفيدرالية النواب المسلمين الجزائريين في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي، وفي حركة أحباب البيان والحرية (1944-1945)، والرجل الثاني بعد الصيدلي فرحات عباس في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ما بين 1946 و 1948، ممثلة في شخص الدكتور "أحمد الشريف سعدان" من خلال التعرض لجوانب من مسيرته النضالية في الحركة الوطنية الجزائرية منذ ظهور فيدرالية النواب الجزائريين واستقراره بمدينة بسكرة كطبيب سنة 1927 إلى غاية وفاته سنة 1948.

## Résumé:

Cette étude concerne l'une des personnalités leader dans les ronds du parti politique tendance intégriste et l'autre tendance fédéraliste des élus Musulmans algériens dans la période historique le troisième mi décennie du siècle précédent, et aussi le parti des amis du manifeste et liberté (1944-1945). d'autres part le deuxième leader le pharmacien Ferhat Abbas de l'union des démocrates du manifeste Algérien dans la période de l'après-guerre 1946-1948, qui se base sur la personnalité du Docteur Med Cherif Saadane, visant l'étude de cette personnalité par le de son parcours dans la vie politique et son patriotisme envers sa nation au sein du mouvement nationaliste à l'U.D.M.A. En ce stabilise au sein de la ville de Biskra en premier temps comme Médecin en 1927 jusqu'à sa mort 1948.

مثلت فترة ما بين الحربين العالميتين (1919. 1939) مرحلة هامة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، فقد عرفت ظهور الأحزاب الجزائرية، وبروز شخصية وطنية أخذت على عاتقها الدفاع عن مصالح الشعب الجزائري من هؤلاء الدكتور أحمد الشريف سعدان عضو اتحادية النواب المسلمين الجزائريين في عقد الثلاثينيات والرجل الثاني بعد الصيدي فرحات عباس في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري في عقد الأربعينات من القرن الماضي، الذي لم تخصصه الدراسات الأكاديمية . حسب اطلاعي بدراسة مستقلة ومتفردة تتناول مسيرته السياسية ومواقفه الوطنية بالرغم من أنه يعد من الشخصيات الهامة والبارزة في الحركة الوطنية التي شغلت الجزائريين عامة وساكنة إقليم الزيان خاصة والإدارة الاستعمارية الفرنسية في الفترة من الزمن بمواقفها المدافعة عن القضية الوطنية في المؤتمرات المحلية التي عقدها أقطاب الحركة الوطنية، وكذلك في مجلس عمالة قسنطينة بصفته مستشارا عماليا، وداخل الجمعية التأسيسية الفرنسية بباريس سنتي (1946 . 1947)، بصفته نائبا عن الاتحاد الديمقراطي للبيان فجاءت هذه الدراسة لتحاول تسليط الضوء عن جوانب من مساهمة ودور هذه الشخصية في الحركة الوطنية الجزائرية، ولعلها أيضا قد تكون منطلقا بداية لبحث يتناولها كموضوع خاص.

## 1. أحمد الشريف سعدان في مرحلة النشأة والتعليم:

ولد أحمد الشريف سعدان في يوم 4 نوفمبر 1893 بباتنة،<sup>(1)</sup> وقيل ولد في المليية موطن قبيلة "أولاد بوفاهة" التي ينتسب إليها.<sup>(2)</sup> من عائلة فقيرة متواضعة، لم يكن لها ماضي ولا شهرة ولا نباهة، انتقل والده من موطن قبيلته المليية إلى باتنة طلبا للعيش وسعيا وراء الرزق، فتحسنت أحواله المادية قليلا، حمله ذلك على العناية بتربية أولاده وتعليمهم.

(1) علي مرحوم، ((رجل عصامي))، البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ع: 75، يوم 13 جمادى الثانية 1318 هـ الموافق ليوم 11 أبريل 1949 م، ص: 6.

(2) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، البصائر، مصدر سابق، ع: 55، يوم 6 محرم 1318 هـ الموافق ليوم 8 نوفمبر 1948، ص: 1.

في باتنة وفي هذا الجو العائلي ابتدأ سعدان تعليمه القرآني العربي والابتدائي الفرنسي معا، إلى أن نال الشهادة الابتدائية في التعليم الأخير، بعد هذه المرحلة التعليمية انتقل إلى المدرسة الرسمية بقسنطينة، التي قضى فيها أربع سنوات ونال شهادتها، بعد انخرط في سلك تلاميذ الثانوية (الليسيه) التي تحصل فيها على القسم الأول والثاني من (البكالوريا). ليكتفي سعدان عند هذا القدر من التعليم الذي كان يؤهلها بالفوز بوظيفة لا يحلم بها أبناء الفقراء من أمثاله في ذلك الوقت فواصل دراسته في كلية الجزائر وتخصص في دراسة الطب، وبعد أن قضى فيها المدة المطلوبة، غادرها وانتقل إلى الجامعة "تولوز" بفرنسا أين أتم دراسته ونال منها شهادة خاصة في طب التشريح زيادة على شهادة الطب العام<sup>(3)</sup>.

لخصت جريدة الإصلاح سنة 1930 الشهادات التي تحصل عليها سعدان والكفاءة العلمية التي كان يحملها بما يلي: ((طبيب عمومي لسائر أمراض البدن الظاهرة والباطنة، وجراح سريع العملية، له معرفة خاصة بأمراض النساء والصبيان الصغار وجميع أمراض المثانة والبول تخرج من كلية الطب بمدينة ((تولوز)) من بلاد (فرنسا)، وهو يحمل عدة شهادات كشهادة دكتوراه وشهادة في الكيمياء وأخرى في الطبيعيات، ويبدعه أيضا شهادة ((عدل)) في القضاء الإسلامي لأنه من خريجي مدرسة ((قسنطينة))<sup>(4)</sup>.

## 2. أحمد الشريف سعدان واتحادية النواب المسلمين الجزائريين:

عاد سعدان إلى الجزائر في حدود سنة 1921، وباشر عمله. بصفته طبيبا استعماريا. في إحدى القرى الصغيرة القريبة من مدينة عنابة، التي مكث فيها نحو ست سنوات لم يذكر خلالها عنه الشيء الكثير سواء أن الإدارة الاستعمارية حرمته من منحة ((الثلث الاستعماري)) التي كانت تعطى لكل موظف استعماري<sup>(5)</sup>.

(3) علي مرحوم، مصادر سابق، ص: 6.

(4) جريدة الإصلاح، (جريدة إسلامية حرة)، بسكرة الجزائر، ع: 11، يوم 23 شعبان 1348 هـ الموافق ليوم 23 جانفي 1930، ص: 2.

(5) علي مرحوم، مصادر سابق، ص: 6.

في سنة 1927 غادر سعدان تلك القرية وانتقل إلى مدينة بسكرة عاصمة الزيان التي جعلها مستقرا له، وفيها فتح عيادته الطبية، لم يكن قدموه هذا إلى مدينة بسكرة فاتر بلاستقبله سكانها بكل فرح وود واحترام لما وجدوا فيه من خصال طيبة ونبيل أخلاق وشهامة لا نظير لها نحوهم، وهي الأحاسيس التي ترجمها عنهم الشاعر "محمد العيد آل خليفة" عندما كتب في جريدة الشهاب<sup>(6)</sup> في عددها 78 في نفس السنة مستبشرا بقدومه وما لمسه من مكارم أخلاقه فقال: ((...)) وقد أتاح القدر لبسكرة النخيل أن يكون لها من هاته النعمة الكبرى حظ وافر وقسط كبير فقد هبطها أخيراً خيرة الشباب الناهضين، وصفوة الرجال العاملين، حضرة الحكيم السيد سعدان أحمد الشريف. فكان كالغيث النافع يحيي الأرض بمطاره، والفجر الساطع يزجي الليل بأنواره. كتب لنا الاجتماع بهذا الشاب الظريف فرأينا منه طبيبا حاذقا، وحكيما صادقا، جمع إلى حذقه في الطب وتبريزه في الحكمة؛ خلقا سمحا وتساهلا غريبا، وبشاشة نادرة؛ وشهامة لا نظير لها... فمرحبا بك أيها الطبيب الكبير؛ مرحبا بك أيها الحكيم الشهير<sup>(7)</sup>.

عندما قدم الحكيم سعدان للزيان كان وضعها الإداري يحكمه قانونان: قانون 24 ديسمبر 1902 القاضي بإنشاء أراضي الجنوب، وقانون 14 أوت 1905 الذي بموجبه تم تنظيم إدارة هذه الأراضي فكانت الزيان تشمل على بلدية تتواجد في التراب المدني، هي بلدية مدينة بسكرة الكاملة الصلاحيات التابعة لدائرة باتنة عمالة قسنطينة، وبلدية أخرى أهلية هي بلدية بسكرة الأهلية تابعان إلى اقليم تقرت العسكري مقر إدارتهما مدينة بسكرة التي مقر مركز أولاد جلال الذي يدخل ضمن التراب العسكري من جهة<sup>(8)</sup>.

(6) أصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1925 بقسنطينة بعد أن عطلت الإدارة الاستعمارية جريدته المنتقد، استمرت الشهاب بعد أن حولها إلى مجلة إلى عشية الحرب العالمية الثانية، حين توقفت من تلقاء نفسها حتى تنجلي الحرب، وحتى لا تضطر إلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب، تعتبر الشهاب مجلة وطنية إصلاحية، نشرت الوعي ودعت إلى جمع الشمل الوحدة، كما دافعت عن الإسلام واللغة العربية، والعدالة والحرية وشاركت برأيها في قضايا المغرب العربي والمشرق. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830. 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ج5، ص: 253.

(7) محمد العيد، ((إحساس أهالي بسكرة نحو الحكيم سعدان))، الشهاب، السنة الثانية، ع: 78، يوم 2 رجب 1345 هـ 6 جانفي 1927م، ص ص: 15. 16.

ومن جهة ثانية؛ كان أهالي الزيان منشغلين بدعوة الشيخ الطيب العقبي<sup>(9)</sup> الإصلاحية منذ عودته من الحجاز سنة 1920 واستقره في مدينة بسكرة، التي اتخذ من منابر مساجدها، ومجالس الناس مكانين لنشر أفكاره الداعية إلى السلفية والإسلام القائم على العلم والقوة والكرامة. وهي الأفكار التي لم يتوقف عندها الشيخ الطيب العقبي، بل تعدّاها إلى مهاجمة الطّرقية والشعوذة والخرافات والمتاجرة بالدين، التي بدأ يسلكها شيوخ الزّوايا، بعد أن تمكنت السلطات الاستعمارية الفرنسية من ترويضهم، وجعلهم أدوات لتخدير الشعب وتأييد سياسته الاستعمارية. المواجهة التي جعلت صيت دعوته تنتشر وتتسع في الزّيان والنواحي المجاورة لها، خاصة بعدما التف حوله جماعة من أعيان مدينة بسكرة وأدباءها، منهم: أسرة آل خراشي، وأسرة الحاج حمو بن عبد الله وأحمد بن الدراجي، والشاعر محمد العيد آل خليفة، والشاعر محمد الهادي السنوسي الزّاهري والشاعر الكاتب باللسانين الأمين العمودي، وأحمد بن العابد العقبي، وغيرهم. الذين تمكنوا ترمنا وبجيء الحكيم سعدان في هذه السنة من إصدار جريدة أسموها (الإصلاح) بعد أن كانوا قبل سنتين من ذلك قد قاموا بتأسيسهم مطبعة وجريدة أطلقوا عليها اسم (صدى الصحراء) في خريف 1925، والتي يبدو أنّها كما يقول سعد الله كانت أول جريدة

(9) من مواليد بلدة سيدي عقبة 3 جانفي 1890، وتعود أصول أسرته إلى قبيلة أولاد عبد الرحمن التي موطنها قلعة أكباش بجبل أحر خدو بالأوراس، فأصول الشيخ الطيب العقبي (شاوية) أمازيغية. في سنة 1895 انتقلت أسرته إلى الحجاز وبعد عام من ذلك استقرت في المدينة المنورة وبها حفظ القرآن في الحرم النبوي على أساتذة مصريين، ثم درس على أساتذة أكفاء أمثال: محمد عبد الله زيدان الشنقيطي، وحمدان لونيسي والحيب التونسي. على اثر قيام ثورة الشريف بن الحسين بن علي على العثمانيين سنة 1916 ومناصرته لها أبعدهت السلطة العثمانية إلى الروم إيلي ثم الأناضول وأخيرا إلى مدينة أزمير. بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عاد إلى المدينة المنورة وفيها عينه الملك حسين مديرا على جريدة (القبلة) (المطبعة الأميرالية). في 4 مارس 1920 عاد إلى مسقط رأسه واستقر بمدينة بسكرة. ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 وكان من رجالها البارزين وعضوا في مكتبها الإداري إلى غاية أواخر سنة 1938 خرج منها، وواصل نشاطه الإصلاحي خارجها. توفي سنة 1960 بالجزائر العاصمة. حول الشخصية أنظر: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، ط 2، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

دعت لوجوب تأسيس حزب (ديني) إصلاحي، ثم توقفت، فكانت بسكرة في هذه الظروف مبعثاً للإصلاح ومنافسة لمدينة قسنطينة حركة وعلماً<sup>(10)</sup>.

ومن جهة ثالثة؛ عرفت الساحة السياسية في الجزائر في شهر جوان 1927 ظهور (اتحادية النواب المسلمين الجزائريين) التي ضمت المنتخبين المسلمين في المجالس العام للعمليات وفي البلديات والنيابات المالية، الذين عقدوا مؤتمرهم الأول في مدينة الجزائر يوم 11 سبتمبر 1927، المؤتمر الذي حضره 150 منتخبا برئاسة الدكتور "بن تامي" الذي سيظل على رأس هذه الهيئة إلى غاية سنة 1930.<sup>(11)</sup> وخلال هذا المؤتمر حددت مطالبها في ما يلي: (تمثيل الأهالي في البرلمان الفرنسي، المساواة في الخدمة العسكرية بين الأوروبيين والأهالي، المساواة في الأجور والمنح بين الأوروبيين والأهالي، إلغاء رخصة الذهاب إلى فرنسا بالنسبة للعمال الأهالي، إلغاء قانون الأهالي (الأنديجينا)، توفير التعليم والتربية المهنية لأبناء الأهالي، تطبيق القوانين الاجتماعية الفرنسية في الجزائر، إعادة تنظيم الدوائر الانتخابية طبقاً لقانون 1910)<sup>(12)</sup>.

في هذه الظروف بدأ سعدان في مدينة بسكرة يشق طريقه في قلوب أهلها بأخلاقه السمحة وأعماله الخيرة نحو الفقراء والمساكين منهم، وتقديره برجال الدين والعلم منهم، فجلب له تقدير رجال الإصلاح الذي أشدوا بحضاله وحلمه في جريدة الإصلاح بعدما عرفوا بعلمه . كما أشرنا . ومما قالته الجريدة فيه أيضاً ما يلي: ((دمت الأخلاق رحيم بزائريه يشفق على الفقراء والمساكين منهم ويعالجهم ((مجانا)) وله عناية كبرى برجال الدين والعلم. ويعامل الناس كلهم بلطف ولين وبشاشة نادرة المثل وقد شاهدناه يتحمل من جفاء اخوانه العرب ما لا يستطيعه

(10) أبو القاسم سعد الله، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص: 95. وأنظر كذلك: نفس المؤلف، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط 2، دار المعارف، مصر، 1975، ص: 27. وأيضاً: محمد علي دبوز، نخبة الجزائر الحديثة، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، ج 2، ص: 109.

(11) شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ترجمة: جمال فاطمي وآخرون، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، م 2، ص: 518.

(12) André Noushi, *La Naissance du Algérien*, Editions de Minuit, Paris, 1962, p: 63.

طبيب غيره. من زاره في محل عيادته بنهج ريشار . بسكرة أعترف له (لأول مرة) له بصحة ما قلناه)).<sup>(13)</sup>

وفي هذه الظروف أيضا: صادف أن غادر الشيخ الطيب العقبي بسكرة إلى مدينة الجزائر سنة 1929 ليكون المحاضر الدائم لنادي الترقى الذي كان قد تأسس قبل ذلك بعامين، ليبدأ عهد جديدا مع الحركة الإصلاحية هناك.<sup>(14)</sup> غير أنه من جهة أخرى تركا فراغا في بسكرة وضواحيها، وهو الفراغ الذي كما يبدو بدأ يملأه الحكيم سعدان بمواقفه الإنسانية والسياسية مع حلول عقد الثلاثينات التي لم تكن فيه منطقة الزيان بمعزل عن التطورات السياسية التي بدأت تعرفها الجزائر خلال هذا العقد، الذي كان فاتحته ذلك الاحتفال الذي أقامه الفرنسيون بمناسبة مرور قرن كامل من الاحتلال، وهو الاحتفال الذي كانوا قد قدروا لبرنامجهم أن يدوم ستة أشهر، لم يتمكنوا من إتمام منها سوى شهرين حملت معها الكثير من الاحتقار والاستفزاز للجزائريين. الذي وإن جرح مشاعرهم من جهة كان سببا لولادة (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) يوم 5 ماي 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس.<sup>(15)</sup> وما سيحدثه ظهورها من أثر في الساحة السياسية بالجزائر من خلال نشاطها الإصلاحي أو مواقفها السياسية من المشاريع الفرنسية المقدمة.

ومن نتائج ما أحدثته تلك الاحتفالات أيضا، ذلك التطور الحاصل الذي بدأت تعرفه مواقف (اتحادية المنتخبين المسلمين الجزائريين) بعمالة قسنطينة، بعد عزل الشريف سيسبان وإحلال محله محمد الصالح بن جلول سنة 1931<sup>(16)</sup>. الأخير الذي استطاع بمعية ممن انضم إليه من النواب الأحرار الذين كان غالبيتهم دكاترة وحقوقيين أن يكتسح بهم، كما يقول الشيخ

(13) جريدة الإصلاح، مصدر سابق، ص: 2.

(14) حول موضوع انتقال العقبي للجزائر ونشاطه الإصلاحي أنظر: أحمد مريوش، مرجع سابق، ص: 123.

(15) آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقدم نخله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ج 5، ص 167. 280. وأيضا: فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتاب، الجزائر، 2011، ص: 103.

(16) عبد الكريم بالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، 1981، ص: 126.

الإبراهيمي: ((بقايا التواب الذين كانت تعينهم فرنسا تعيينا، وكان اقتحامه مع أصحابه لمجالس النيابة فتحا جديدا في النيابة الأهلية أفشى فيها الحركة والحياة، وأشعرها بشيء من الاعتبار والاعتزاز، بدأت الموضوعات الأهلية الحساسة تطرق على منابر النيابة العمالية وتثار ويدافع عنها فتخرج فيها الحكومة أحيانا، بعد أن كانت تلك الموضوعات كقبر المسلم لا ينش ولا يمشى عليه... وبالجملة كانت نيابة ابن جلول إنشاء للمعارضة البرلمانية في مجالس النيابة الجزائرية)).<sup>(17)</sup>

مهما يكن من أمر؛ فإن الحكيم سعدان بدأ يشغل الناس في مدينة بسكرة بمواقفه الإنسانية، وربط علاقات متينة مع رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أمثال الشيخ خير الدين عضو المكتب الإداري للجمعية والشيخ عبد الرحمن بركات رئيس الشعبة وغيرهم، الذين مكثوه سنة 1934 من خلال وقوفهم معه في انتخابات المستشارين العامين على مستوى دائرة باتنة من الفوز على خصمه ممثل الإدارة الاستعمارية الحفناوي الدبابش<sup>(18)</sup>.

وهي الانتخابات التي عرفت جو مشحون من التنافس وصل حد المجابهة المسلحة، والتي كان فيها النائب العمالي المتقدم للترشح من جديد الحفناوي دبابش مساندا من صديقه شيخ بلدة بسكرة المدينة كازناف (Cazenave) وشيخ العرب بوعزيز بن قانة ورجال الشرطة المسلحين. وكانت صحيفتا: (تغنانت) و(لكو دو بامبو Le Coupde Bambou) التي تعني (ضربة بخزانة) على التوالي باللغة العربية والفرنسية اللتان صدرتا باسم صاحبهما ومديرهما المدعو محمد العربي سفير تناصر الحكيم فقد جاء في صحيفة الأخيرة ليوم 11 أكتوبر 1934 من صفحتها العربية قصيدة من الشعر الملحون تهجوه فيها المرشح المستشار العمالي السابق بعنوان (فقنا ما ناش نا يمين) هذه أبيات منها تقول فيها ما يلي:

(17) آثار محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 5، ص: 132.

(18) محمد خير الدين، مذكرات، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ج 1، ص: 236. 237.

كثرت من الهف، دوختنا بالزاف، ارميناك مثل اشقف ابقيت تضرب في الدفارتاح منك المسلمين عطلت وفد المسلمين، اذيت جمعية المصلحين تبعت القمارين، شركت الخمارين أعوذ بالله من فعالك الراديين.<sup>(19)</sup>

بينما كانت جريدة (صدى الصحراء) التي عادت بعد ثمانية أعوام كاملة إلى الصدور من جديد يوم 25 سبتمبر 1934 وقد انحرفت عن اتجاهها الإصلاحية الأول وأخذت تتهاجم الدكتور سعدان وتنتقد سيرته الشخصية، وتحرض أهل بسكرة على مقاطعة انتخابه، وتدعو إلى الحاج الحفناوي دبابش، بل تعدت إلى مهاجمة جمعية العلماء صراحةً لمناصرتها سعدان<sup>(20)</sup>.

ومما جاء في عددها (20) في صفحته الأولى من تهجم على الأخير، بعنوان: (عار عليكم يا سكان بسكرة أن تنتخبوا رجلاً ضعيف ليس منكم) تقول ما يلي: ((ليس سعدان بالرجل الكريم الذي وجب إكرامه إذا نزل بين قوم بل هو رجل لئيم لا يعترف بجميل بين ما نزل بينهم فأكرمه واحترمه. ها هو قد ملأ خزانته من أموالكم أيها البسكريون وها هو يحاربكم بها. ليست لكم همة ولا مروءة وشرف إن أنتم صوتم على من أهان كرامتكم وأساء إليكم وجاءكم فار هربا من بلاد بعيدة ليحتلكم واهتدى على أشياء مدينتكم الجميلة غير مبال بإحساساتكم وبحساناتكم التي قدمتموها إليه منذ حل بين ظهرانكم...))<sup>(21)</sup>.

ازدادت العلاقة بين العلماء والحكيم سعدان في الزيان أكثر تقاربا ومودة واحتراما لمواقفه الصريحة بعد تأسيس المؤتمر الإسلامي الجزائري سنة 1936، الذي دعا إلى تأسيسه الشيخ عبد الحميد بن باديس بهدف جمع شتات الأمة في مؤتمر عام يوحد كلمتها، وينشئ قيادة عامة لها. فكان أول حركة عقدت يوم 7 جوان من نفس السنة جمعت حولها كل طبقات الأمة فشمل: النواب الأحرار والعلماء والاشتراكيون والشيوعيون وقدماء المحاربين والشباب والفلاحون، ووضع

(19) *Le Coup de Bambou*, (Journal), Organe politique Satirique et anti neurasthénique paraissant tous en la Reinedes Ziban, Biskra, N°52, 11 Octobre 1934, p: 8.

(20) محمد ناصر، *الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939*، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص: 63.

(21) *صدى الصحراء*، نشرة إسلامية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية، بسكرة، الجزائر، ع: 20، 2 رجب الثانية 1353 هـ الموافق 12 أكتوبر 1934، ص: 1.

النواب المطالب السياسية، في حين وضع العلماء المطالب الدينية والعربية، وشددوا كثيرا في مسألة الشخصية الإسلامية<sup>(22)</sup>.

ظهر موقف سعدان الصريح إلى جانب العلماء في حادثة اغتيال الإمام محمود كحول (ابن دالي) التي اتهمت فيها الإدارة الاستعمارية الفرنسية العلماء بتدبيرها في شخصي الشيخ الطيب العقبي والسيد عباس التركي اللذين حبستهم بحجة أنهما من دبروها. فوقف سعدان مع العلماء مخالفا بذلك رئيس جمعية النواب محمد الصالح بن جللول الذي سفه رأيه المتحامل على العلماء<sup>(23)</sup>.

كان سعدان من أبرز النشطين في المؤتمر الإسلامي وأحد أعضاء الوفد المسافر إلى باريس لتقديم مطالبه لحكومة الجبهة الشعبية ممثلا عن الجنوب الجزائري إلى جانبما ضم الوفد من علماء يمثلهم كل من: ابن باديس والإبراهيمي والعقبي، ومن نواب: ابن جللول وفرحات عباس، وطاهرات وبن عودة باشتارزي وغيرهم<sup>(24)</sup>، فظهر حماس سعدان في الدفاع عن مطالب المؤتمر من خلال الاجتماعات الوطنية التي كان يعقدها في بسكرة وضمن هذه المطالب كان يدعو إلى إلغاء نظام الإدارة العسكرية في الجنوب، ومنها منطقة الزيان التي عانى أهلها من ظلمه. وكان يضرب الأمثال بهذا الظلم بالقضية التي شغلت الرأي العام البسكري المدعو الشباح المكي، الذي تعرض للظلم والاعتقال من شيخ العرب بن قانة، ولم تنصفه المحكمة الصلحية ببسكرة والمحكمة الشرعية في سيدي عقبة<sup>(25)</sup>.

وبرز أيضا النشاط المكثف للحكيم سعدان المؤازر من العلماء الذين يمثلهم الشيخ محمد خير الدين عضو المكتب الوطني الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيس شعبتها

(22) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية (1945.1930)، ط 4، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1992، ج 3، ص: 153.  
(23) محمد خير الدين ((مات الحكيم سعدان))، البصائر، مصدر سابق، ع: 55، 6 محرم 1368 هـ الموافق 8 نوفمبر 1948م، ص ص: 1-2.

(24) جريدة الشهاب، ج 4 م 12، ربيع الثاني 1355 هـ 6 جوليت 1936م، ص ص: 231. 232.

(25) ((يوم المؤتمر الإسلامي، احياء ذكرى يوم 7 جوان في بسكرة))، البصائر، مصدر سابق، ع: 72، 25 جوان 1837م الموافق 16 ربيع الثاني 1365 هـ، ص: 4.

ببسكرة الشيخ عبد الرحمن بركات خلال فترة الثلاثينات في الزيان، وذلك من خلال مساهمته في تأسيس العديد من الجمعيات والنوادي الثقافية، فقد أسس جمعية العلماء في يوم 5 فيفري 1935 نادي الشباب الذي أسندت له رئاسته، وكان نائبه من العلماء كل من الشيخ محمد خير الدين والسيد بن بسام محمد، أما الكتابة العامة وأمانة المالية فكانت قد أسندت لسادة النواب على التوالي: ميدا معمر، عاقلي بلقاسم، قربي عبد القادر، مليكي عبد الرحمن الأخير التي صنفتها لإدارة الاستعمارية في بسكرة سنة 1939 في خانة الوطنيين<sup>(26)</sup>.

وعندما أنشئت جمعية كشافة الرجاء (الإسلامية العسكرية) التي حصلت على اعتمادها القانوني في شهر ديسمبر 1940، وهي التي كانت فرعاً من جمعية الرجاء القسنطينية أشرف الحكيم سعدان بجمعية العلماء، وأوكلت له الرئاسة الشرفية، وهي التي كان رئيسها السيد ميدا معمر، ونائبه السيد دهينة محمد، فيما أوكلت مهمة أمين المال إلى السيد خير الدين عبد السلام أخو الشيخ محمد خير عضو جمعية العلماء، وأسندت الكتابة العامة للسيد حاجي عبد القادر. ومن أعضاءها الناشطين الذين التحقوا بها بداية من 25 جانفي 1942 تقول لتقارير الإدارة الاستعمارية المدعو السيد علي مرحوم من ميلة أحد طلاب الشيخ ابن باديس القدامى ومراسل جريدة البصائر. وهناك أيضاً المدعو دهينة محمود الذي سمحت له مهنته كتاجر للمنتوجات الصوفية التي يسافر من أجلها إلى الجزائر وقسنطينة ليزود بها سوق بسكرة أن يكون حلقة وصل بين كشافة الشمال وكشافة بسكرة. ويقول التقرير أيضاً أنه من أنصار مصالي الحاج وأنه أمين مال حزب الشعب الجزائري في بسكرة<sup>(27)</sup>. ومن بين الذي نشئوا في هذه الجمعية الشهيد محمد العربي بن مهيدي أحد قادة الثورة التحريرية المسلحة ومفجريها في الفاتح نوفمبر 1954<sup>(28)</sup>.

(26)ANOM 93/4330, (Partis et Groupements Indigènes de Biskra, pp:2-4). Et ANOM 93/4330 (Commissariat de Police de Biskra, Notice Sur le Cercle NadiEchChabab -Biskra, 20/5/1939).

(27)ANOM 93/4330, (Partis et Groupements Indigènes de Biskra, pppp:5-6-7-8)

(28)محمد خير الدين، مذكرات، مرجع سابق، ص: 136.

### 3. نشاط الدكتور أحمد الشريف سعدان أثناء الحرب العالمية الثانية:

عرفت سنة 1943 تقاربًا شديدًا بين تشكيلات الحركة الوطنية، عباس فرحات والنواب والعلماء وحزب الشعب الجزائري، وهو التقارب الذي كان وليد ذلك البيان المؤرخ في 10 فيفري المقدم للحلفاء وللحكومة العامة في الجزائر، الذي حرّره وصاغه فرحات عباس بعد اجتماعه بأعضاء من حزب الشعب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وصادق عليه النواب الجزائريون، ومما تضمن البيان من مطالب رئيسية ما يلي:

إدانة الاستعمار وإلغائه، أي تحريم استغلال شعب من طرف شعب آخر وتحريم إدماجه وضمه عنوة.

. تطبيق تقرير المصير لجميع الشعوب الصغيرة منها والكبيرة.

. منح الجزائر دستورا خاصا بها.

. المشاركة الفورية والفعالة للمسلمين الجزائريين في حكومة بلادهم.

. إطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين من جميع الأحزاب.<sup>(29)</sup>

كان الدكتور سعدان من الشخصيات الوطنية التي ساهمت في خروج هذا البيان وتوقيع عليها، فقد كان بين الحاضرين في الاجتماع الذي انبثق عنه الاتفاق على اصدار هذا البيان، وهو الاجتماع الذي عقد في مكتب الأستاذ أحمد بومنجل بمدينة الجزائر تحت رئاسة الشيخ البشير الإبراهيمي حسب رواية الشيخ محمد خير الدين أحد الحاضرين.<sup>(30)</sup> وعقد في مكتب الأستاذ الدكتور تامزالي رئيس القسم القبائلي في النيابة المالية حسب رواية فرحات عباس.<sup>(31)</sup> ويبدو أن سعدان كان من المتحمسين للبيان إذ يقول عنالشيخ خير الدينوهو يتحدث عن البيان ما يلي: ((وكان إجماع آخر من نواب الشعب تحت قيادة جديدة لإمضاء ميثاق

(29) للاستزادة أكثر حول البيان أنظر: فرحات عباس، مصدر سابق، ص: 113-114. وأيضاً: محفوظ قداش، تاريخ الحركة الوطنية

الجزائرية، ترجمة: أحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، ج2، ص: 918-920.

(30) محمد خير الدين، مذكرات، مرجع سابق، ج 2، ص: 13.

(31) فرحات عباس، مصدر سابق، ص: 113.

جديد، وهو ميثاق البيان، ولم يكن في المطالب هذه المرة: حذف الولاية العامة للالتحاق ((بأم الوطن))، إنما كان فيها حذف الولاية العامة لقطع آخر اتصال بهذه ((الأم)) الآكلة بنيها! ولتأسيس حكومة جزائرية مسؤولة أمام برلمان جزائري تتظلل براية جزائرية، ولميلاد جنسية جزائرية تحدد الواجبات على الجميع، وتمنح الحقوق للجميع. وكان الحكيم سعدان الشخصية الثانية في هذا الميدان الجديد، وتطلعت الأمة لتشاهد بطلا من أروع أبطالها، وقائدا من خيرة قادتها وسياسيا من أمهر ساستها، سداد رأي وصدق عزيمة<sup>(32)</sup>.

وعندما لم يلق البيان تفاعلا من الحلفاء والفرنسيين تطورت مبادرة فرحات عباس بعد عام منذ إلى مطلب تكوين حزب وطني كبير، وهو ما تحقق بظهور (حركة أحباب البيان والحرية) يوم 14 مارس 1944 ضمت إلى جانب صاحب المبادرة وأنصاره من النواب حزب الشعب الجزائري، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد موافقة على التوالي كل من مصالي الحاج والشيخ البشير الإبراهيمي. في الوقت الذي لقيت فيه الرفض من الشيوعيين والعداء فأنشأوا لها جمعية منافسة أطلقوا عليها اسم (أحباب الديمقراطية)، التي تكونت بهدف للدفاع والتعريف ببيان الشعب الجزائري، وجعل من خلال قانونها الأساسي فكرة الأمة الجزائرية بسيطة، وإقامة جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا. أما في نظر حزب الشعب الجزائري فكانت وسيلة لإقناع المترددين من فئة المثقفين بصحة أطروحاته وجلب اهتمام الجماهير العريضة المتحفزة للتحديد<sup>(33)</sup>.

في هذه الفترة كان سعدان كما يقول الشيخ خير الدين الشخصية المحبوبة المطاعة المسموعة الكلمة من الجميع، رغم العلة التي كانت قد تسربت إلى جسمه فقد كان دائم الحركة والنشاط فتراه في المجالس الرسمية والمؤتمرات الشعبية يمثل الروح الفتية، ولكي ينفذ ما جاء في البيان حول مطلب أن تكون اللغة العربية لغة رسمية التي اعتبرها قرار الاستعمار سنة 1933 لغة أجنبية كان سعدان أو من نفذ مطلب البيان بأن كان أول من نفذ ذلك فعلا فقام في جلسة رسمية

(32) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، صص: 3.2.

(33) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 948.

للنواب العماليين وألقى خطابه الرسمي باللغة العربية الفصحى ولم يتنازل لترجمته بل ترك مهمة ذلك إلى غيره.<sup>(34)</sup>

في بسكرة ترأس سعدان فرع حركة أحباب البيان والحرية في المدينة وتولى الكتابة العامة للعقبي بلاغة، في حين عين حزب الشعب الجزائري المناضل محمد العربي بن مهيدي ككاتب دائم بالنادي.<sup>(35)</sup> ، وخلال نشاطه وهو على رأس هذا الفرع وصف التقرير الشهري لشهر أبريل 1944 سعدان بقوله: ((سعدان الشخصية السياسية المحنكة التي تُعرفنا بالحالة الفكرية للحركة الوطنية في هذه الفترة، فقد صرح أمام الضابط العسكري للملحقة وبكل هدوء وصراحة كبيرة بأنه لا يؤمن بالإدماج وإنما يؤمن بالتعاون، وهذا بعد اكتشافه يقول سعدان لها منذ سبعة وأربعين سنة خلعت بأن أصولي ذات انتماء عربي، وهو ما يدفعنا حتمًا إلى تأكيد قانون الوراثة))<sup>(36)</sup>.

وعندما عقدت حركة أحباب البيان والحرية مؤتمرها في الفترة ما بين يومي 2 و4 مارس 1945 بمدينة الجزائر أوكل المؤتمر للدكتور سعدان بالإجماع إدارته وتسييره في غياب فرحات عباس الذي كان مريضاً<sup>(37)</sup>، فأداره كما يقول الشيخ خير الدين المؤتمر بحنكة ودراية تركت الجمع يلهجون بخلاله العظيمة، وأرضى جميع العناصر، من متطوعي الشبان الغلاة، إلى فاتري العزائم الجناة، ومنذ ذلك لمعت هذه الشخصية في أشد اللمعان<sup>(38)</sup>.

وفي هذا المؤتمر الذي أداره سعدان عرف تغلب أطروحات حزب الشعب الجزائري، فسادت مبادئ سياسته المتمثلة في: (الاعتراف بالجنسية الجزائرية، ووضع دستور جزائري

(34) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3.

(35) الزبير بوشلاغم، ((لقاء مع المجاهد محمد عصامي))، أول نوفمبر، (لسان حال المنظمة الوطنية للمجاهدين)، الجزائر ع: 146، 1994، ص: 34. وأنظر أيضا:

El-Hachemi Trodi, Larbi Ben M'hidi, Enag/Editions, Alger, 2007, p: 39.

(36) ANOM 9323/37 (Annexe Biskra N°44/S, Bulletin de Mensuel de Renseignements, Mois d'avril 1944, pp:3-4).

(37) أجيرون، مرجع سابق، ص: 927.

(38) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3.

ديمقراطي جمهوري، استبدال المجالس الجزائرية، ببرلمان منتخب، استبدال الحكومة العامة بحكومة جزائرية، الاعتراف بالألوان الوطنية).<sup>(39)</sup>

في هذه الفترة من نشاط سعدان المكثف يذكر الشيخ خير الدين أنه بدأ المرض يتسرب إلى جسمه، ورغم نصائح الأطباء بعدم اجهاد جسمه بالنشاط اشفاقا عليه كان يقول لهم: ((دعوني أمت واقفا أريد ذلك في خدمة بلادي)).<sup>(40)</sup>

في صبيحة الثامن ماي 1945 الذي قرر فيه الجزائريون الخروج في مظاهرات سلمية في سائر المدن الجزائرية احتفالاً بانتصار الحلفاء على النازية، والمطالبة بتطبيق مبدأ تقرير المصير، ألقى القبض على الدكتور سعدان بمعية رئيسه فرحات عباس وهما في قاعة انتظار الولاية العامة بالجزائر لتقدم التهاني لممثل فرنسا بهذه المناسبة.<sup>(41)</sup> ومنها سيق إلى السجن، قضى في سجن الجزائر خمسة أشهر ثم نقل إلى قسنطينة ومنها إلى مدينة سوق هراس، وداخل هذه السجون تعرض سعدان إلى التعذيب إلى أن أفرج عنه في شهر مارس 1946 على اثر العفو العام الذي أصدرته الحكومة الفرنسية في حق المتهمين بالثورة والتحريض عليها في الثامن ماي 1945.<sup>(42)</sup>

#### ب. نشاط سعدان في حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري:

بعد الافراج عنه في شهر مارس 1946 بمعية الدكتور سعدان والشيخ الابراهيمي لم ينتظر فرحات عباس طويلا، وبدرا الى تأسيس حزب جديد سماه (الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري)، اشتق اسمه وروحه كما يبدو من البيان الجزائري، أو من تجربة حركة أحباب البيان الجزائري التي حلتها السلطات الاستعمارية عقب المجازر ارتكبتها في 8 ماي 1945 ضد الجزائريين في مدن خراطة وسطيف وقالمه. ولخص فرحات عباس مطلبه في مقتطف من النداء الذي وجهه إلى الشبيبة الجزائرية والفرنسية بمناسبة تأسيسه في شهر أفريل 1946 بقوله: ((لا نريد

(39) محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 972.

(40) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3.

(41) فرحات عباس، مصدر سابق، ص: 128.

(42) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3. وأيضا أنظر: أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر (1914-

1954)، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 263.

إدماجاً، ولا سيّداً جديداً، ولا انفصالاً، وإنما نريد شعباً فتياً يتولى تثقيف نفسه اجتماعياً وديمقراطياً ويحقق تطوره العلمي والصناعي، ويحمل رسالة انبعائه معنوياً وفكرياً، ومرتبطة بأمة عظيمة متحررة الفكر<sup>(43)</sup>.

وفي هذا الشأن استأنف الدكتور سعدان نشاطه السياسي نائباً لفرحات عباس في الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري الذي ساهم في تأسيسه، وهو الحزب الذي التف حوله المنتخبون والأعيان والسياسيون الذين شاركوا في بعث البيان منهم المحاميان بأحمد ومنجل وقدر ساطور، والاطباء: ابن لليل وأحمد فرنسيس والأساتذة: محداد وحديد بن سالم وابن قادة وغيرهم.<sup>(43)</sup> كان الدكتور سعدان الذي من غير المستبعد أن يكون على دراية بما كان يخطط له عباس، وما ينوي فعله بعد خروجه من السجن وإيمانه بفكرة الثورة بالقانون، فعندما شارك الاتحاد الديمقراطي في الانتخابات التشريعية في 2 جوان 1946، وفاز فيها الاتحاد بفوز ساحق، حيث نال 72.5 % من الأصوات أي 11 مقعداً في المجلس الوطني الثاني التأسيسي من مجموع 13 مقعداً مخصصة للمسلمين، فاز سعدان في الانتخابات كمرشح للحزب عن عمالة الجزائر، وأصبح رئيساً للمجموعة البرلمانية للاتحاد الديمقراطي وفي نفس الوقت نائب رئيس فيدرالية المنتخبين المسلمين بقسنطينة ونائب رئيس اللجنة التنفيذية للاتحاد الديمقراطي.<sup>(44)</sup>

وخلال رئاسته للمجموعة البرلمانية قد نواب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري للجمعية التأسيسية الفرنسية مشروع دستور تأسيس جمهورية جزائرية كان من أهم ما نص عليه هذا المشروع من مواد ما يلي:

1 أن الجمهورية الفرنسية تعترف بالاستقلال الذاتي التام للجزائر وتعترف في نفس الوقت بالجمهورية الجزائرية وبالحكومة الجزائرية وبالراية الجزائرية.

(43) أحمد مهساس، مصدر سابق، ص: 263.

(43) عبد الحميد زوزو، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج 1، ص: 332. وأيضاً: محفوظ قداش، مرجع سابق، ص: 1032.

(44) عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، ص: 332 - 698.

2 إن الجمهورية الجزائرية عضو في الاتحاد الفرنسي كدولة مشتركة وتكون العلاقات الخارجية والدفاع الوطني للدولتين مشتركة تشرف على سلطات الاتحاد، وتشارك الجزائر في ممارسة تلك السلطات.

3 تتمتع الجمهورية الجزائرية بالسيادة المطلقة في جميع القطر وتشرف على جميع الموافق الداخلية وحتى على الشرطة.

4. يتمتع كل فرنسيو الجزائر في الجزائر بالجنسية الجزائرية وعليه فيتمتع بجميع الحقوق المخولة للمواطن الجزائري، وحتى حق التصويت وتقليد الوظائف العمومية، ومن جهة أخرى يتمتع الجزائري في فرنسا بالجنسية الفرنسية، وعليه يتمتع في التراب الفرنسي بجميع الحقوق المخولة للمواطنين الفرنسيين وحتى التصويت وتقليد الوظائف العمومية، ويمكن لهذين المقتضيين أن يمتدا إلى جميع أعضاء الاتحاد الفرنسي، بعد المصادقة عليهما.

5. تكون اللغة الفرنسية واللغة العربية هما اللغتان الرسميتان في الجمهورية الجزائرية، ويكون التدريس العمومي إجباريا بهاتين اللغتين في جميع طبقات التعليم وتتكفل الجمهورية الجزائرية بجعله في متناول يد جميع الجزائريين ذكورا وإناثا.

6. إن المدارس العمومية الموجودة الآن في الجزائر تبقى على حالها الراهن.

7. سيبقى للحكومة الفرنسية الحق في بناء مدارس أخرى، إلا أن مصاريف هذه المدارس تتحملها الميزانية الفرنسية.<sup>(45)</sup>

خلال تواجده في باريس في إطار تقديم هذا المسعى ودفاع عن القضية الجزائرية لم يغيب عن عينه سكان بسكرة وأعضاء جمعية العلماء في هذه المدينة التي ارتبط ارتباطا متينا فكتب رسالة للشيخ عبد الرحمان بركات رئيس شعبة جمعية العلماء المسلمين بهذه المدينة في شهر رمضان 1365هـ (أوت 1946م) ترجم له فيها ما كان يحمل له اللغة العربية من احترام لها وعمله من أجل ترسيمها هذا نصها: ((حضرة الإخوان الخ. بعد السلام اننا كلنا في الكفاح والجد لإخراج الجزائر من حالتها الحاضرة، ولا ريب أنكم في انتظار لكل خبر يأتي من باريس، وحتى الآن لم

(45) فرحات عباس، مرجع سابق، ص: 134. 135.

يصدر شيء مهم، ولا أظهر أي حزب من الأحزاب طريقه بكل صراحة، وعلى كل حال ففي آخر الشهر الجاري يتضح كل شيء، ونحن عازمون على بذل الجهد لتحقيق النتيجة لا سيما فيما يتعلق بلغتنا الشريفة يمكن أن اضطررتنا الحالة أن نتنازل عن بعض النقاط من برنامجنا السياسي مع المحافظة على المبدأ، ولكن لا يمكن أن نساوم أو نتنازل في مسألة اللغة العربية لأنه إذا رفض المجلس التشريعي طلبنا وصوت ضد الاعتراف باللغة العربية بكونها لغة رسمية فقد برهن بالطبع الشخصية الجزائرية ولا حاجة لنا إذا كان هذا في الكلام أو غيره حيث أن نفس البيان هو الاعتراف بالشخصية الجزائرية. وإني سأخبركم فيما سيكون. أعتذر وإلى أمام إخواننا كافة عن عدم الكتابة. لأنني لا زلت ضعيفا والموقف صعب يقتضي النشاط والكد ولولا حبي للوطن ولجميع إخواني وثقتي بالله. ما كانت لي قوة تسمح لي أن أقوم بهذا الواجب الشريف: وكل إخواننا هنا يفعلون الواجب من غير فشل أو تراخ. بلغوا سلامي لجميع أعضاء الشعبة ولجميع إخواننا في بسكرة وغيرهم. من أخيكم سعدان))<sup>(46)</sup>.

وأثناء تدخله في البرلمان الفرنسي بباريس تدخله في جلسة 23 أوت 1946 كان سعدان شجاعاً وحازماً ومغضباً للفرنسيين استنكروه حينها، لقد صعد سعدان إلى المنصة وتحدث عن العنصرية والاعتراق، والقمع، فتطرق إلى مجازر 8 ماي، فصمت النواب الفرنسيون هذه المرة، ثم واصل سعدان متسائلاً: هل أنا فرنسي أم لا؟، فرد الرئيس: أنتم في برلمان فرنسي، وإن لم تدركوا ذلك فاخرجوا!. فلم يكن من سعدان إلا أن هاجمه قائلاً: إذا لم تعطينا فرنسا الحقوق الواجب إعطاؤها إيانا، فإننا سنذهب. ثم صمت سعدان قليلاً، ثم واصل يقول: لا نريد أن نكون سوى رجالاً أحراراً، فتعلت أصوات النواب المستنكرين في القاعة فتدخل فرحات عباس قائلاً: لقد انتظرنا هذه الفرصة مدة 116 سنة.. فالرجاء كونوا كرماء، فمن المحتمل أننا لا نملك الكيفية.. لكن لو حدث هذا منذ سنة 116 سنة خلت، كنا تحصلنا عليها،<sup>(47)</sup> وقيل أن

(46) ((ذكرى الأربعين لفقيد الجزائر الحكيم سعدان رحمه الله))، البصائر، مصدر سابق، ع: 63، 10 ربيع الأول 1368 هـ الموافق 10 جانفي 1949 م. ص: 2.

(47) حميد عبد القادر، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص: 122.

فرحات قال عبارة أخرى: ((أيها السادة لقد صبرنا على سماع مكروه قولكم مدة 117 سنة فهلا صبرتم على سماع صوتنا ساعة؟!))<sup>(48)</sup>.

مهما يكن من أمر؛ فإن نواب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ومنهم سعدان سعوا لإقناع الجمعية التأسيسية الفرنسية أن تقبل مشروعهم بهدف إنشاء جمهورية جزائرية محلية متحدة مع الاتحاد الفرنسي، وتقوم على أساس ازدواج جنسية فرنسيي الجزائر والجزائريين، ولكن كل ذلك كان بدون جدوى ورفض المشروع وصوتت الجمعية التأسيسية في الخامس أكتوبر 1946 على قانون يستمر بموجبه التمييز بين الهيئتين الانتخابيتين<sup>(49)</sup>.

واصل نواب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري ومنهم سعدان نشاطهم في الدفاع عن القضية الجزائرية داخل البرلمان الفرنسي إلى غاية يوم 31 أوت 1947 أين استقالوا منه تعبير على احتجاجهم ورفضهم لقانون الجزائر الخاص الذي صادقت عليه الجمعية الوطنية الفرنسية في يوم 20 سبتمبر 1947<sup>(50)</sup>.

كان لشخصية سعدان تأثيرها على أهالي إقليم الزيان وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الذين قلنا أنهم كانوا مساندين لمواقفه الوطنية التي أظهرها، سواء في عقد الثلاثينات أو في ظل حركة أحباب البيان والحرية أو بعد خروجه من السجن عام 1946، فلم يخسر معاركه الانتخابية التي ترشح لها إلا في عهد الوالي العام نيجلان (Naegelen)<sup>(51)</sup> أثناء انتخابات المجلس الجزائري سنة 1948 للمجموعة الثانية الخاصة بالمسلمين الجزائريين التي جاءت بعد المصادقة على قانون الجزائر سنة 1947 عن ناحية (بسكرة عين التوتة بركة) التي فاز بها ممثل

(48) محمد خير الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3.

(49) أجرون، مرجع سابق، ص: 983.

(50) نفسه، ص: 990.

(51) هومارسيل إدموند نيجلان (Marcel-Edmond Naegelen)، (1892-1978)، عضو الفرع الفرنسي في الأمانة الاشتراكية، قبل تعيينه واليا عاما للجزائر في 11 فيفري 1948 خلفًا لإيف شاطينو (Yves Chataigneau) كان وزيرًا للتربية، بقي في منصبه كوال عام للجزائر مدة ثلاث سنوات عرفت التزوير الفاضح للانتخابات لصالح مرشحي الإدارة الاستعمارية الفرنسية، استبدل بروجي ليونارد (Roger Léonard) في شهر أفريل 1951.

الإدارة المستقل محمد تباني ب: (14131 صوت) على الحكيم سعدان ب: (4988 صوت)  
وعن حركة انتصار الحريات الديمقراطية ب: (1817 صوت).<sup>(52)</sup>

غير أن هذه الانتخابات كانت آخر انتخابات خاضها سعدان إذ في خريف هذه السنة  
رُزئت فيها الحركة الجزائرية عامة والحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري قائداً تها به الدوائر  
الاستعمارية وتحسب له ألف حساب وتعتبره أخطر سياسي جزائري عليها، وتطلق عليه صحفها  
(الخنش الأزرق).<sup>(53)</sup> وفقده العلماء حليفاً صدوقاً وأهالي منطقة الزيان الذين أحبوه فنقشوا على  
قبره في مقبرة العزيلات ببسكرة أبيات من الشعر للشاعر الشيخ أحمد سحنون التي يقول فيها:

هنا صارم أغمدته السنون \*\*\* وما كان يألف غمده الجفون  
هنا جسد أمهكته السقام \*\*\* وقلب ألحت عليه الشجون  
هنا نام طرف تحدى الكرى \*\*\* ولم يلتفت لحياة الفتون  
هنا ((قبر سعدان)) رمز الفدى \*\*\* سقته الغواصي بغيث هتون<sup>(54)</sup>.

توفي سعدان يوم 26 أكتوبر 1948 بمصحة في جنوب فرنسا، وشيعت جنازته بمدينة  
بسكرة يوم 4 نوفمبر 1948، التي حضرها جمع غفير من أنحاء القطر، يتقدمهم الشيخ  
الإبراهيمي عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وفرحات عباس عن الاتحاد الديمقراطي للبيان  
ورجال حركة انتصار الحريات الديمقراطية، والحزب الشيوعي، والاشتراكية والعائلة الإسرائيلية  
والمسيحية والنواب والأطباء والكشافة والرياضة وغيرها<sup>(55)</sup>، وقد أبته الوطنيون بكلمات صادقة  
وأشادوا بنضاله وكفاحه من أجل خلاص الشعب الجزائري والدفاع عن قضيته الوطنية.

(52) ANOM 93/4201, (Années S/Préfectures Monographies Politiques, p:40).

(53) علي مرحوم، ((رجل عصامي))، مصدر سابق، ص: 6.

(54) ((هنا قبر سعدان))، البصائر، مصدر سابق، ع: 69، 1 جمادي الأولى 1368 هـ الموافق ليوم 28 فيفري 1949م، ص: 8.

(55) ((جنازة سعدان))، البصائر، مصدر سابق، ع: 57، 20 محرم 1368 هـ الموافق 22 نوفمبر 1948م، ص: 3. أنظر كذلك: محمد خير

الدين، ((مات الحكيم سعدان))، مصدر سابق، ص: 3.

## خاتمة:

وفي الأخير يمكن القول أننضال الدكتور أحمد الشريف السياسي في الحركة الوطنية الجزائرية عرف مرحلتين من حياته: مرحلة أولى؛ هي مرحلة عقد الثلاثينيات التي نشط فيها كعضو في فيدرالية المنتخبين المسلمين الجزائريين التي ترأسها محمد الصالح بن جللول التي كانت تؤمن بفكرة الاندماج لم تكن تتصور الجزائر منفصلة تماما عن فرنسا، وهي الفكرة التي انساق وراءها الدكتور سعدان رغم نزهته على حسب وصف المفكر الجزائري مالك بن نبي.<sup>(56)</sup>

أما المرحلة الثانية من حياته؛ فهي مرحلة عقد الأربعينات التي سطع فيها نجمه إلى جانب فرحات وتخل فيها عن فكرة المطالبة بالاندماج، وأصبح يؤمن بفكرة إقامة جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا لها شخصيتها العربية الإسلامية التي يدافع.

وخلال المرحلتين بدى الدكتور سعدان قريبا من العلماء ورطنته علاقة متينة بهم لاسيما منهم الذين قادوا الحركة الإصلاحية في منطقة الزيبان من أمثال: الطيب العقبي والشيخ خير الدين وعبد الرحمن بركات والشاعر محمد العيد آل خليفة والشيخ أحمد سحنون.. وغيرهم. فساندوه في معاركه الانتخابية ضد خصومه ووقف معهم في محنتهم، كما كان لسانهم في الدفاع عن مطالبهم التي أصبحت مطالبه، وارتبط بمناضلي حزب الشعب الجزائري الذين عمل معهم ولم ينزعج من مطلبهم الاستقلالي فكانوا له كل التقدير والاحترام وهتوا باسمه في مؤتمر حركة أحباب البيان والحرية، وجلبت له انسانيته وصدق سريره حب سكان إقليم الزيبان الذي دافع عنهم وكشف ظلم الإدارة الاستعمارية وحكم بير عرب الجائر ضدهم فكان يطالب كلما سنحت الفرصة بإلغاء الإدارة العسكرية في الجنوب. هكذا كان الدكتور سعدان في نضاله من أجل القضية الوطنية محسوب في خانة النخبة مرتبط بالعلماء قريبا من آلام شعبه فبكته العامة والخاصة بحرقه عند وفاته سنة 1948.

(56) مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن، ط2، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق سوريا، 1970، ص: 276.

مصادر ومراجع المقال:

أ. أرشيف ما وراء البحار ياكس . آن . بروفانس:

- ANOM 93/4330, (Partis et Groupements Indigènes de Biskra, pp:2-4).
- ANOM 93/4330, (Commissariat de Police de Biskra, Notice Sur le Cercle NadiEchChabab -Biskra, 20/5/1939).
- ANOM 93/4330, (Partis et Groupements Indigènes de Biskra, pppp:5-6-7-8).
- ANOM 9323/37 (Annexe Biskra N°44/S, Bulletin de Mensuel de Renseignements, Mois d'avril 1944, pp:3-4).
- ANOM 93/4201, (Années S/Préfectures Monographies Politiques, p:40).

ب . الكتب بالعربية:

آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، الجزء الخامس.

أجيريون (شارل روبري)، تاريخ الجزائر المعاصرة من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير، ترجمة: جمال فاطمي وآخرون، شركة الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، المجلد الثاني.

. بوالصفصاف (عبد الكريم)، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الجزائر، 1981.

. بن نبي(مالك)، مذكرات شاهد للقرن، الطبعة الثانية، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق سوريا، 1970.

. خير الدين(محمد)، مذكرات، الطبعة الثانية، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، الجزآن (الأول والثاني).

دبوز (محمد علي)، نهضة الجزائر الحديثة، المطبعة العربية، الجزائر، 1971، الجزء الثاني.

زوزو (عبد الحميد)، الفكر السياسي للحركة الوطنية الجزائرية والثورة التحريرية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، الجزء الأول.

. سعد الله (أبو القاسم)، أفكار جامعة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988

. سعد الله (أبو القاسم)، الحركة الوطنية الجزائرية (1930.1945)، ط 4، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، 1992، الجزء الثالث.

سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 . 1954)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، الجزء الخامس.

سعد الله (أبو القاسم)، محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، 1975.

عباس (فرحات)، ليل الاستعمار، ترجمة: أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2011.

عبد القادر (حميد)، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

قداش (محفوظ)، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة: أحمد بن البار، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008، الجزء الثاني.

حريوش (أحمد)، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية، الطبعة الثانية، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

مهساس (أحمد)، الحركة الثورية في الجزائر (1914-1954)، دار المعرفة، الجزائر، 2007.

ناصر (محمد)، الصحف العربية الجزائرية من 1847 إلى 1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

#### ج . الكتب بالفرنسية:

- Expose de la Situation Générale Territoires du Sud de L'Algérie, présenté par Jonnart Gouverneur Général, Année 1905, Alger, 1906.
- Noushi (André), La Naissance du Algérien, Editions de Minuit, Paris, 1962.
- Trodi (El-Hachemi), Larbi Ben M'hidi, Enag/Editions, Alger, 2007.

#### د . الجرائد:

- جريدة الإصلاح، (جريدة إسلامية حرة)، بسكرة الجزائر، العدد: 11، يوم 23 شعبان 1348 هـ الموافق ليوم 23 جانفي 1930.

- جريدة الشهاب، الجزء 4 المجلد 12، ربيع الثاني 1355 هـ 6 جويليت 1936 م.

- صدى الصحراء، نشرة إسلامية أدبية اجتماعية إصلاحية انتقادية، بسكرة، الجزائر، العدد: 20، 2 رجب الثانية 1353 هـ الموافق 12 أكتوبر 1934 م.

- Le Coup de Bambou, (Journal), Organe politique Satirique et anti neurasthénique paraissant tous en la Reinedes Ziban, Biskra, N°52,11 Octobre 1934.

هـ. المقالات في الجرائد:

1. ((جنازة سعدان))، البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، العدد: 57، 20 محرم 1368 هـ الموافق 22 نوفمبر 1948 م.
2. ((ذكرى الأربعين لفقيد الجزائر الحكيم سعدان رحمه الله))، البصائر، العدد: 63، 10 ربيع الأول 1368 هـ الموافق 10 جانفي 1949 م.
3. ((يوم المؤتمر الإسلامي، احياء ذكرى يوم 7 جوان في بسكرة))، البصائر، العدد: 72، 25 جوان 1837 م الموافق 16 ربيع الثاني 1365 هـ.
4. الزبير بوشلاغم، ((لقاء مع المجاهد محمد عصامي))، أول نوفمبر، (لسان حال المنظمة الوطنية للمجاهدين)، الجزائر ع: 146. 1994.
5. علي مرحوم، ((رجل عصامي))، البصائر، ع: 75، يوم 13 جمادى الثانية 1318 هـ الموافق ليوم 11 أفريل 1949 م.
6. محمد العيد، ((إحساس أهالي بسكرة نحو الحكيم سعدان))، الشهاب، السنة الثانية، العدد: 78، يوم 2 رجب 1345 هـ 6 جانفي 1927 م.
7. محمد خير الدين ((مات الحكيم سعدان))، البصائر، العدد: 55، 6 محرم 1368 هـ الموافق 8 نوفمبر 1948 م.
8. ((هنا قبر سعدان))، البصائر، العدد: 69، 1 جمادى الأولى 1368 هـ الموافق ليوم 28 فيفري 1949 م.